أيضا الى إحياء الفضائل والخلال الرومانية القـديمة ؛ وهى اليوم أفضل مما كانت عليه بكثير من حيث الأخلاق والهمم والثقافة .

وأما فى تركيا فأن العاطفة القومية تبلغ بالشباب حـد التعصب الأعمى ، ومع أن الشبيبة التركيـة لا تتمتع بدرجة محترمة من التعليم والثقـافة ، فانها مع ذلك شديدة الكبرياء والغطرسة تتصور أنها سيدة الشباب فى العالم كله ، وأنها على حداثة عهدها بالمدنية الأوربيـة وضآلة ثقافتها تضارع أرقى شباب أوربا ذكاء وثقافة ومدنية ، وليس هـذا بغريب فى بلد يدعى زعماؤه أنه هو مهد الحضارات البشرية ، وأن لغته (أى التركية) هى أصل اللغات البشرية . ويحسبون أن ما أسبغ على تركيا الجمهورية فى أعوامها القلائل من قشور المدنية الأوربية يكفى لوضعها إلى جانب أعظم الأمم رقياً وحضارة .

* * *

هذا وأما عن حركات الشباب فى الأمم الأسلامية والعربية فلا نستطيع أن نبسط القول ، ومن الأسف أنه لم تنتظم فى أمتنا الأسلامية والعربيـة حركات منظمة قوية من الشبيبة . نعم قام الشباب فى مصر وفى البـلدان العربية بحركات متقطعة ، واشتركوا فى الحركات القومية ، وكان لهم فيها يوم قيامها أكبر الأثر . ولـكن هذا العمل القومى لم يكن منظما ولا مستمرا ، ولم تدعمه من الناحية الأخرى تلك المزايا القومية والأخلاقية التى تنشدها . ومن الأسف أيضاً أن شباب الشرق يتأثر من آن لآخر بنزعات الشبيبة الأوربية ، فيحاول أن يقلدها تقليداً أعمى . مثال ذلك ما أذيع من أن شباب بعض البـلدان العربية يحاول أن يقتبس من مبادىء الحركة الهتلرية ، مع أن الحركة الهتلرية هى من أشد الحركات الحديثـة نزعة إلى الأستعمار ، وأبلغها عداوة للحرية ، وأشدها احتقارا للأمم الشرقية ؛ فمن الواجب على شبابنا أن يسترشد فى حركاته وأمانيه بالظروف المحلية والغـايات القومية قبل كل شىء ، ومن الواجب أن يعمل ولـكن فى روية واستنارة ؛ ومن الواجب أن يسترشد دائماً بمحن الوطن وماضيه المجيد فى تغـــذية العاطفة القومية ، وأن يكون شعاره العمل الرزين المنظم فى سبيل الأمانى القومية ؟

محمد عبد الله عنانه
المحامى

النـــاى السحرية(١)

The Magic Flute

للأستاذ بشير الشريق المحامى

حين قدم موزار Mozart (١٧٥٦ — ١٧٩١) النـاى السحرية للجمهور لم تلق ما تستحق من نجاح . ويقال إن مدير الجوقة الموسيقية لأول مرة ظهرت فيها الناى السحرية ، وبعد أن هدأت عاصفة التهايل ، تسلل الى موزار وكان يشرف على الأخراج ، وقبل يده ؛ فربت موزار على رأسه . لنا أن نذهب من ذلك الى أن المدير قد فهم ماعنته الموسيقى ، وأن موزار أدرك أن المدير قد فهمها . كلاهما لم يستطع وضعها فى كلمات رواية غنائية libretto وهى فى الواقع لم تكن مثبتة فى كلمات ؛ وما كانت كلمات الرواية الغنائية لتحول دون إدراك المعانى الموسيقية لولم يتساءل النظارة عن معانى تلك الكلمات . لقد نجحت النـاى السحرية بعد موت موزار ؛ وسبب هـذا النجاح ولاشك أن النظارة لم يعودوا يتساءلون عن معانى كلمات الرواية libretto وأدركوا شيئاً من معانى الموسيقى .

كلمات الناى السحرية هى عناوين لموضوعات ضخمة ، ونحن نر خلالها بسرعة الى موسيقى پاپاكينو Papageno الواضحة ، ولـكنا سوف نضيع ذلك الوضوح إن نحن سعينا اليه عن طريق الكلمات أو نشدنا موضوع الرواية فى هذه الكلمات . إن حوادث الرواية ليس لها ارتباط بالكلمات بعضها ببعض ، كما أن منطق الرواية كله فى الموســيقى التى تخلق عالماً تقع فيه الحوادث عفواً ، عالما تصدر فيه النغمة عن أختها أو تنعكس عنها كما تنعكس قوى الطبيعة أو أفكار الرجل ؛ هذا العالم هو الكون كما يراه موزار ، والرواية بكاملها هى إيضاح لايمانه الخاص . وعلى هذا فهى بذاتها عمل ديني وان كانت سليمة مما نجده فى الدين من مسائل مبهمة وورع جبان . لقد عاش موزار فى هذا العالم

(١) للاديب الانجليزى كلاتون بروك A. Clutton-Broch عن كتابه : « مقالات فى الفن Essays On Art »

أشبه ما يكون بملك همه أن يضحك ، ولكن بلا أذى ولا حقد ، همه أن يضحك من شقاء بنى الانسان ، وشر المصائب ما يضحك .

وكان يعطف حتى على الفجار « إنهم أطفال خبثاء يمكن لمن عنده سر السحر أن يجعل منهم أهل خير وصلاح » وفى الناى السحرية يعمل السحر ، إنه يعمل فى الناى نفسها ، وفى قيثار پاپا كينو . عند موزار سر الموسيقى ، وقد بلغ من جهل العالم بحكمته أن حسبه مجرد شحاذ يعزف بأنغامه فى الشوارع ؛ وبعد جيل أصبح الناس يذكرونه كلما ذكروا الأنغام ، وأصبح الشعب ينظر اليه كما ينظر الى سوسن الحقل ؛ ولا تزال الناى السحرية الى اليوم أكثر من رواية غنائية عادية ذات أنغام وأسلوب بسيط قديم ، يمكنك أن تتمتع بها على كل حال اذا لم تقف إزاءها موقف المهيب ؛ يمكنك أن تنعم بها كما تنعم «بهملت» تلك الرواية المشجية ؛ وهى مثل «هملت» تحوى معانى دقيقة بعيدة ، معانى لا ندركها أفهامنا . إن پاپا كينو صورة مجازية ؛ ولكنها من أعظم الصور فى جميع روايات العالم ؛ إنه كل شخص كما كان «هملت» ، واذا كنا نملك مهارة معرفة أنفسنا وجدنا فيه كلا منا نفسه ؛ وبكلمة أخرى أنه ذلك العامل المستولى علينا والذى نحبه فى أنفسنا ونحتقره فى الآخرين ؛ إنه ذلك العامل الذى لا نعترف به للحظة ، الا وهو عامل الخوف والاعتزاز والكذب .

قدم موزار أغانيه لسارسترو Sarostro وپاپا كينو ، حتى اذا أخذا فى الغناء أحسسنا كأنا نشاركهما غناءهما ؛ وأى غناء ؟ ! غناء ليس فوق مقدرة فهمنا ولا سرورنا ؛ غناء الملاك الذى تعلم لساننا الأرضى وأدخل عليه الأصلاح فأقام بذلك سماء على الأرض ؛ سماء لا تبعد عنا ولا تصعب علينا ؛ سماء من غاية مقفرة نقدر فيها أن نضحك بقدر ما نقدر أن نغنى ؛ سماء تضحك فيها الملائكة منا وتضحك معنا ؛ وفى هذا الفردوس الذى خلقه لنا موزار سرعان ما يتحول جلال الموسيقى الى هزل ، وسرعان ما تعود الموسيقى الى جلالها ، وهذا التبدل يظهر دائماً طبيعياً

الكتاب الدائمون

لتحرير الرسالة

مرتبة أسماؤهم على حروف الهجاء

الاستاذ ابراهيم عبد القادر المازنى

الاستاذ احمد امين

الاستاذ احمد حسن الزيات

الدكتور احمد زكى

الاستاذ عبد المجيد العبادى

الاستاذ عبد العزيز البشرى

الدكتور عبد الوهاب عزام

الاستاذ محمد عبد الله عنان

الدكتور محمد عوض محمد

الاستاذ محمد فريد أبو حديد

الاستاذ مصطفى صادق الرافعى

وهؤلاء هم الأساتذة المساعدون

فى مصر وسائر البلاد العربية

ذلك هو عقل موزار الذى رماه الشعب بالطيش لسبب واحد هو أنه وقد أوجد فى سمائه مكاناً لكل شىء لم يوجد مكاناً لمجد سليمان التبذل ، أو للعنف والبشاعة والبلادة ، لا يوجد فى الفن أبداً ما هو أعمق أو أجل من أصول موسيقى سارسترو . لقد بلغ من وضوح عقيدة موزار أنها تبدو وكأنها ليست بعقيدة وانما هى مجرد بهاء ، مثلها فى ذلك مثل القديسين الحقيقيين الذين يبدو عليهم أنهم ليسوا من أهل الصلاح بل من أهل الفتون . وهنالك من الناس من لا يجد فى جمال موزار فناً ، وسبب ذلك أن جماله جمال حق . هم يحسبون أنه احتال على هذا الجمال اختيالاً ؛ إنهم ينشدون صرير الجهود ، وينشدون الأنانية ؛ لقد بلغ من نقاء جهوده ومن كثرتها أن حسبوها رخيصة لا ترضى إلا العوام .

يصعب علينا أن نشاهد الناى السحرية تمثل تمثيلاً مرضياً على مسرح اليوم ، ولكنا برغم ذلك سنسر ولا ريب من أى تمثيل لهذه الرواية التى حوت روح الموسيقى ، والتى يمكن للمرء أن يرى منها كيف تكون الناى السحرية ؛ لقد بلغ من رقة موسيقاها ورقة أنغامها أنها تقدر أن تجدد موسيقى هذه الأيام المسرحية الغريبة .

يمكننا أن نصف تامينو Tamino وبانينا Panina كما نصف أحسن صور فى مجمع فنى ، وأن نتخذ كلا منهما مثالاً لأبطال

الروايات الغنائية وبطلاتها في كل عصر ومصر ، بل قد لا تنتسب ثيابهما لعالم الحقيقة أو الفن ، وقد تعرض نماذج مصطنعة ومنمقة ، ولكن الموسيقى تلطف من ذلك وتساعد كل شخص على أن يقوم بدوره أحسن قيام . من الواضح أن موسيقى الناى السحرية تجلب السرور وتوافق أولئك الذين ينشدونها فاذا بهم كأنهم يقومون بعمل ديني أكثر مما لو كانوا يقومون بعمل مسرحي ، وأنك أكثر ما تشعر بذلك عند انسجام الأنغام حينما يتراءى لك أن ريح الفردوس تهب على جميع المغنين فيتمايلون لها تمايل الأزهار بالرغم من ثيابهم الكثيفة . ولكن الناى السحرية مفتقرة الى عالم متجانس في النظر كما هو متجانس في السمع حتى نظهر بمظهر كامل مرضٍ ، ولهذا فنحن أحوج ما نكون لفترة إصلاح تتناول كل عاداتنا المسرحية ؛ نضرب لذلك مثلاً سارسترو ، إنه يعيش بين مناظر مصرية ، على حين أن هذا العالم المصري لا يناسب الموسيقى وهو يعني لدينا أعاجيب القاعة Hall المصرية ، ولكن هنالك عالماً مفرداً يناسب الموسيقى كل المناسبة ، عالماً تستطيع أن تمر فيه من العبث الى الجمال مروراً طبيعياً ؛ وفيه تكاد تكون جميع الصور متناسبة وواضحة ، ذلك العالم هو العالم الصيني كما عرفناه في الفن الصيني حيث يوجد في هذا الفن الخيال الروحي والهزل البهي ؛ حيث يوجد في هذا الفن مزيج من طفولة وقداسة يوحي الى العين ما توحيه موسيقى موزار الى الأذن ؛ وفي الفن الصيني فقط يقدر پاپاكينو أن يكون قديساً : في ذلك العالم فقط تعيش روح موزار بضحكها وحكمتها ، وكأنها في بيتها ؛ في هذا العالم تساوت الأزهار وجميع الحيوانات في الخطر مع جنس الانسان ، في هذا العالم يظهر الافعى والثعبان وكأن كلاً منهما مصنوع من ورق مقوى ؛ في هذا العالم لا يظهر السحر أنه مجرد تعاويذ ؛ في هذا العالم يمكن للمرء أن يقع على مناظر طبيعية وصور جميلة ؛ وفيه لا يكون سارسترو ساحراً مسرحياً بل كاهنا كنسياً .

في الحق أن الفن الصيني هو عالم الناى السحرية حيث تتدلى الأجراس الفضية من كل شجرة مزهرة ، وتزدحم الحدائق بالبلابل الساحرة ؛ هو عالم الحماسة والتأمل ، حيث يجلس الحكيم في السرادق في ضوء القمر ، ويبتسم ابتسام عاشق ، وحيث يبتسم العشاق كالحكماء . . حيث يوحي كل شيء للعين ما توحيه موسيقى موزار للأذن . وفي العالم الصيني يمكننا أن نتجنب كل تشدق في العزل الشهواني اعتاد أن يلقط به المسرح الحديث ؛ كما يمكننا أن نخضع أنانية أوربا الثقيلة للشرق المنكر لذاته .

لقد تمرّس موزار بالألم ، ولكنه لم ينغمس فيه ؛ إنه يعنى بجمال العالم أكثر مما يعنى بجمال نفسه ؛ عنده أن الشر من عمل الشياطين الذين تقدر الموسيقى على طرد أرواحهم

لقد كان موزار أورفيوس Orpheus هذا العالم الذي يستطيع إن نحن أصغينا اليه أن يذلل الحيوانية الكامنة فينا جميعاً ؛ ومع ذلك فان أقصى وقاره ومنتهى سر جماله إنما هو في رحمته التي وسعت كل شيء ؛ وهو حين يترحم علينا أو على نفسه لا يأخذه البكاء ، بل يطلب الينا أن نجفف دموعنا وأن نكون من الصالحين ، وأن نصغي لنايه السحرية .

وهذا الحنان الذي ينبعث من أصواته خلال الناى السحرية يبعث في الناى السحرية جمالاً وهزة وعجباً ، لا يمكن أن تبعثها أية عاطفة إنسانية .

سارسترو ليس بساحر ، إن هو إلا قبيس ، لأن فيه حكمة الرحمة المحببة ، ولأنه خصص مكاناً في فردوسه لپاپاكينو ابن الطبيعة يلهو فيه مع صاحبته پاپاكينا . مرت پاپاكينو وهو في فردوس سارسترو الموحش لحظة فكر فيها أن يشنق نفسه ، لأنه لم يجد من يشاطره الحب ، ولكنه لا يكاد يضع حبل المشنقة على عنقه حتى تسمع في الموسيقى قهقهة تنبئك أنه يتململ من حبل المشنقة ؛ ولكن سرعان ما تُقدم اليه پاپاكينا وسرعان ما يعود الى الفردوس أنسه ، ويأخذ الأثنان في غناء دورهما في نهاية الرواية .

نحن على يقين بأن عدالة الناى السحرية قضت ببراءة ملكة الليل ؛ والزنجي البشع وجميع معاونيه ؛ لم يعاقب منهم أحد ؛ لقد شقوا لغير ما سبب ؛ فجاءوا نادمين مستغفرين ؛ وهكذا تنتصر الناى السحرية على شرورهم وشقاواتهم ، فتدق الأجراس الفضية من كل شجرة ؛ وتغني البلابل غناء يخلب الألباب ، ويبتسم الحكماء والمجنون ابتسامة الأطفال ، فتدخل ابتساماتهم دخولاً طبيعياً في دين موزار المقدس ؛ هذا الدين المهيب الذي تآلف فيه الابتسام والعبوس ، ولم يتنافرا تنافرهما على الأرض .

شرق الأردن

بشير السباعي
المحامي